قصّة
عيسى ابن مريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

عيسى ابن مريم نبيُّ الرحمٰن من أولي العزم من الرسل، ارتبط نسبه بأمّه مريم البتول؛ لأنّه ولد من غير أب كما آدم. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

مريم:

من هي مريم التي سمِّيت بها سورة من سور القرآن الكريم، من دون النساء؟!

إنّها واحدة من أفضل نساء العالمين لما ورد عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**حسبك من نساء العالمين أربع: مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد** ﷺ»[1].

إنّها مريم الصدِّيقة، بنت عمران الرجل الصالح الذي كان راعياً لبيت المقدس.

وكانت أمُّها قد تاقت نفسها للولد، لما رأت طائراً يطعم فرخه، فلما حَمَلَت رأت أن تقدِّم المولود خادماً في بيت الله، إذ إنَّ الإنسان

---

(1) محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (567 - 643 هـ)، الأحاديث المختارة، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، ط1، مكّة المكرمة - المملكة العربية السعودية، 1410هـ.

يحرص على أن يقدِّم لله خيرَ ما يُحبّ. فلما ولدت كان المولود أنثى فتحسّرت: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا[1] فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 35-36].

وأرادت الأمُّ أن تفي بنذرها. فتوجَّهت إلى الله بذلك اليقين وقالت: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

وتقبَّل الله دعاء الأمِّ الصادقة، وحمى المولودة الصغيرة مريم وذرِّيَّتها من بعدها وهو المسيح ابنها من الشيطان الرجيم. ومن المعروف أنَّ كلَّ من يولد يستهل صارخاً من وخز الشيطان له حين ولادته ما عدا مريم وابنها، لدعاء أم مريم بذلك.

ولفَّت الأم مريم بخرقة وتوجَّهت بها إلى بيت المقدس. وحينما وصلت قالت لأحبار بني إسرائيل: دونكم هذه النذيرة. ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: 37].

واختلف أحبار بني إسرائيل فيمن يكفلها؟!

وكفلها نبيُّ الله زكريا الذي حافظ عليها محافظة كبيرة، وبنى لها محراباً في بيت المقدس يُصعد إليه بسُلَّم. ولم يكن يدخل عليها سواه، فكان يأتيها يوميًّا بما تحتاج إليه من طعام وشراب.

وشَبَّتْ مريم في محرابها تعبد الله بإخلاص ويقين، حتى كرّمها الله على شدَّة تقواها بأنَّها كانت خير نساء الأرض في زمانها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾

(1) محرَّراً: خادماً لبيت المقدس.

يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: 42-43].

ومن إكرام الله لها أنه ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: 37]. ساعتئذٍ دعا زكريا ربَّه في ذلك المكان الطاهر بأن يهبه ذرِّيَّة طيِّبة فوهب له يحيى.

وبعد أن كبُرت مريم وبلغت مبلغ النساء، اعتكفت في مكان شرقيٍّ بعيداً عن بني قومها. وإذا بجبريل يأتيها بصورة إنسيَّة لأنَّ الملائكة الكرام تستطيع التشكُّل بصورة آدمية.

وجاءها بصورة شابٍّ حتى تستطيع أن تتحمَّل ما يقوله لها. ولكن ما إن رأته يقترب منها حتى ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: 18]. فخافت أن يصيبها بأذى.

فطمأنها و﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: 19].

فتعجَّبت منه ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا[1]﴾ [مريم: 20].

وإذا بجبريل يكمل كلامه و﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم: 21].

ولما تبيَّنت أن ذلك الأمر إلهي امتثلت لحكم ربها. فكان كلمة الله عيسى في رحمها. وبشَّرها بمكانة المسيح في الدنيا والآخرة، كي ترتاح نفسها لهذا الأمر العظيم: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ

(1) ولم أك بغيًا: أي: كيف يأتيني ولد ولم أتزوج ولم أكن من أهل البغاء.

مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45].

مولد المسيح وطفولته:

بعد أن قضت مريم فترة الحمل ألهمها الله أن تذهب إلى مكان تستر فيه عن عيون الناس، وقامت إلى جذع نخلة بجوارها أعشاب الأرض: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: 23].

وحينما اشتدَّت بها آلام الوضع، تذكَّرت في نفسها ما سيكون أمرها حينما ترى بني قومها وما سيقولون لها، ويفعلون بها، وهي الطاهرة العفيفة، وكيف يصدِّقونها؟!

و﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا[1]﴾ [مريم: 23]، فناداها منادٍ من تحتها. قيل: جبريل. وقيل: وليدها عيسى. ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا[2] ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا[3] ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: 24-25].

وقال أحد الحكماء: ما للنُّفَسَاءِ عندي خير من الرُّطَبِ، ولا للمريض خير من العسل. وأثبت العلم الحديث أنَّ خير ما تأكله النُّفَسَاء بعد الولادة الرُّطَبُ لأنَّه غنيٌّ بكلِّ الموادِّ الطبيّة التي تحتاج إليها المرأة بعد الوضع. وقد هيأ الباري لمريم عند ولادتها ذلك الماء لتتطهّر وتشرب، والرُّطَبَ لتأكل.

---

(1) وكنت نسياً منسياً: أي جيفة ملقاة.

(2) السريُّ: النهر الصغير.

(3) رطباً جنيًا: أي ثمراً غضًا طريًا.

ولدت مريم وامتثلت لأمر الله، وقامت إلى الشجرة تهزُّها ويتساقط عليها الرُّطَبُ. فأكلت من الرُّطَبِ وشربت من الماء العذب الذي بجانبها. وراحت ترتاح بعد ذلك العناء الشديد من أثر الولادة.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه؟!

لماذا كان الرزق يأتي مريم من عند الله وهي قويَّة على الخدمة، حينما كانت في المحراب. بينما كانت بحاجة لمن يخدمها حينما وضعت، وأَمَرَها ربُّها أن تقوم وتهزَّ النخلة لتأتي برزقها؟

والجواب: أنَّ تلك الحركة في هزِّ النخلة تساعد المرأة النُّفَساء على استعادة وضعها الطبيعيِّ لجهازها الداخلي وفي ذلك حكمة كبيرة. والله أعلم.

وبعد أن استراحت مريم من آلام الوضع والولادة أمرها ربُّها أن تعود بالمولود إلى قومها. وأوحى لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: 26]، فسألك عن ولدك أو لامك عليه ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26]. أي: صمتاً، وذلك إنَّهم كانوا إذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ [مريم: 27].

فما إن رآها قومها تحمل طفلاً حتى قالوا لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا[1]﴾ [مريم: 27].

وقالوا لها: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: 28]. اتَّهموها في عرضها عن طريق الكناية، فهارون أخو موسى كان رجلاً، حسن الخُلُق، فقالوا لها:

(1) شيئاً فريًا: أمراً فظيعاً عظيماً.

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾، أي: يا أيتها الشريفة العفيفة من أين لك بهذا الولد، وأبوك رجل صالح، وأمك لم تزنِ، فبأخلاق مَنْ تخلّقت؟!

وأكمل القوم حديثهم مع مريم وهي لائذة بصمتها وقالوا لها معاتبين: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ[1] وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا[2]﴾ [مريم: 28].

فما كان من مريم إلَّا أن أشارت إلى ابنها بعد أن أمسكت عن الكلام. ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾ [مريم: 29]. فسخروا منها ومن إشارتها، وغضبوا و﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: 29].

في ذلك الموقف الرهيب، كانت المعجزة الخالدة التي أنطق الله بها وليدها عيسى في المهد بعد أن سخر القوم منها واتَّهموها بالعار، ليبيِّن لهم طهارة أمِّه من الدنس الذي اتَّهموها به. فنطق المسيح في المهد و﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم: 30]، فأقرَّ على نفسه بالعبودية أوَّل ما تكلم وأنَّه عبد الله ورسولُه.

ومعجزة كلام عيسى في المهد لم تتكلَّم عنه أي من كتب النصارى؛ بل جاء ذكر هذه المعجزة في القرآن الكريم وحده. وذلك يندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: 14].

بعد ذلك أوحى الله إلى مريم بالخروج من وطنها برفقة ابنها لوجود قلاقل أمنيَّة تحيط بالمنطقة بسبب ظلم الحاكم هناك، محافظة عليها وعلى وليدها عيسى.

---

(1) امرأ سوء: ما كان سيّئاً.

(2) بغيًا: زانية.

وخرجت بابنها. ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50].

وقيل: الربوة ذات القرار المعين: هي دمشق، وقيل: بيت المقدس. وقيل: مصر. وقيل: الرملة من أرض فلسطين. والله أعلم.

وبعد أن كَبُرَ عيسى قليلاً، كان قد مات الحاكم الظالم في أرض فلسطين واستتبَّ الأمن، فألهم الله مريم بالعودة بابنها إلى موطنها الأصليِّ. فرجعت به، وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها: ناصرة، وبها سمِّيت: النصارى.

رسالة المسيح:

لما بلغ المسيح ثلاثين سنة أوحى الله إليه أن يدعو الناس إلى الله، وأيَّده بمعجزات عديدة لتصديقه، فكان يداوي حالات المرض المستعصية على كلِّ الأطباء الذين اشتهروا ببراعتهم في الطب في ذلك الزمن، فجاءت معجزته الطبيَّة تتحدَّى حالات الطبِّ العاديَّة، فمثلاً كان يداوي الأكمه[1] والأبرص[2] إلخ.

وكانت رسالة عيسى هي التصديق لمَا جاء في رسالة أخيه موسى الذي أنزلت عليه التوراة، عاملاً بها، مخفِّفاً بعض أحكامها، ويحلُّ لبني إسرائيل بعض الذي حرَّم عليهم في التوراة. ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: 50].

---

(1) الأكمه: الذي ولد أعمى.

(2) الأبرص: الذي به بياض في جلده.

ففعل كل ما أمره الله به، فأحبَّه الناس ومالوا إليه واستأنسوا به وكثر أتباعه وعلا ذكره.

معجزات عيسى:

عيسى المسيح من أولي العزم من الرسل الكرام، أيَّده الله بالمعجزات الكبرى ليكون بيِّنة لمن يدعوه من الناس لعبادة الله. ويمكن إيجاز هذه المعجزات فيما يلي:

1 - المسيح خُلق من أمٍّ بغير أب، كما خُلقت حواء من أب بغير أمٍّ، وآدم بلا أم ولا أب، وبذلك تبيّنت قُدرةُ الله المطلقة في خلق الذكر والأنثى. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

2 - تأييده بروح القدس: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ[1]﴾ [البقرة: 87]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: 110].

3 - كلامه بالمهد وكهلاً، وإقراره بالعبودية. ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: 30]، ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: 46]. أي: يكلِّم الناس في سنِّ الرضاع قبل أن تتكلَّم الأطفال العاديين. ويكلِّم الناس في سنِّ الكهولة وهو ما بعد سنِّ الثلاثين إلى الأربعين إلى سنِّ الشيخوخة. ويكون كلامه مؤيَّداً بالوحيِّ والرسالة.

4 - أعطاه الله الإنجيل وأفهمه التوارة وجعله نبيًّا: ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: 30]. وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

(1) روح القدس: جبريل.

﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: 48]. أي: يعلِّمه الخطَّ والكتابة، والعلم النافع وفهم أسرار الأشياء، والتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل الذي اختصَّه الله به.

5 - أحاطه بالبركة حيث كان، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: 31].

6 - كان مأموراً بالصلاة والزكاة، بارًّا بوالدته ولم يكن شقيًّا بعقوقها: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: 31 - 32].

7 - تعليمه صُنع الطير من الطين ثم ينفخ فيه بإذن الله ليصير حيًّا. ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 49]. فكان يصنع من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله. وقيل: لم يخلق غير الخفاش الذي كان على غير ما امتازت به الطيور العادية، وإنَّما اختصَّ الخفَّاش بأن له ثدياً، وأسناناً، ويلد، ويحيض، ويطير، وهو مكسيٌّ بالجلد وليس بالريش كباقي الطيور، ولا يطير إلَّا ساعة عند الفجر وساعة عند الغروب لانعدام الرؤية لديه. وقيل: إنَّ هذا الطير الذي نفخ فيه عيسى كان يطير بإذن الله ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عنهم سقط ميتاً، ليتميَّز فِعْلُ الخَلْقِ عن فِعْلِ الخالق، وليُعْلَم أنَّ الكمال لله وحده ﷻ والله أعلم.

8 - إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: 49].

9 - تأييده بإحياء الموتى بإذن الله تعالى: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 49].

10 - إخبارُه بما يكون من أمر الناس فيما يأكلون وما يخبئون ويدَّخرون في بيوتهم: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: 49].

11 - إنزال المائدة من السماء حينما طلبها الحواريُّون. قال ابن عباس: «نزلت المائدة على عيسى ابن مريم والحواريِّين: خِوان عليه سمك وخبز، يأكلون منه أينما تولوا إذا شاؤوا». ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: 114-115].

الحواريون:

بعد كل تلك المعجزات التي رآها الناس، آمن به من آمن وكفر به من كفر، خاصة من بني إسرائيل الذين اعتادوا تكذيب وتقتيل الرسل الذين كانوا يأتونهم باستمرار. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: 52-53].

وكان أشدُّ الناس إيماناً بعيسى الحواريين الذين صدَّقوه ونصروه بأمر دعوته، وكانوا اثني عشر رجلاً.

قيل: إنما سُمُّوا بالحواريِّين؛ لأنَّهم كانوا يحورون الثياب أي: يبيِّضونها.

وقيل: سُمُّوا حواريين لصفاء قلوبهم؛ لأنهم كانوا نورانيين عليهم

أثر العبادة وبياضها. وأصل الحور عند العرب: شدة البياض. وقيل: الحواريُّون: الأنصار.

رفع المسيح:

ماذا كان موقف بني إسرائيل حينما رأوا أتباع المسيح يزدادون يوماً بعد يوم؟!

لقد مكروا على عادتهم ودبَّروا أمر قتل عيسى خفية. ولكن الله أبطل مكرهم. ورفع عيسى إلى السماء، والله خير المدبِّرين. ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: 54 - 55].

وبعد رفع المسيح كان لليهود موقف من المسيح وأمِّه يتجلّى:

1 - في الطعن بشرف أمِّه والسّعيَ في قتله، فدافع الله عنهما في القرآن: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ [النساء: 156-157]، أي: اختلط عليهم الأمر، فلا يدرون أحصل قتلٌ أم لم يحصُل. وإن حصل فمن المقتول؟! على أنَّ القرآن برَّر أنَّه لم يحصل قتل. ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: 157] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159].

2 - رفع قدره بجعله إلهاً من دون الله. فردّ ذلك القرآن في حكاية تكون يوم القيامة في الموقف العظيم بين ربِّ العزَّة وبين عيسى يفضح فيه كذب من ادَّعى أن المسيح إلٰهٌ من دون الله. ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: 116-117].

نزول المسيح:

سيعود المسيح إلى الأرض قبل قيام الساعة بإذن الله، لأنَّ عودته من العلامات الكبرى لقيامها. ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: 61].

ويعود للأرض بإذن الله يدعو إلى الإسلام، ويقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويعم السلام الأرض.

العبر من قصَّة عيسى ابن مريم:

يؤخذ من قصَّة عيسى ابن مريم عدَّة عبر، منها:

1 - إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، وتجري عليه أمور البشر كسائر العباد.

2 - أيَّده الله بمعجزات كغيره من الرسل الكرام تدلُّ على صدقه.

3 – اليهود قتلة الأنبياء، قتلوا يحيى وزكريا وادَّعوا قتل المسيح بعد أن اتَّهموا أمَّه الطاهرة بالفاحشة.

4 – حفظ الله المسيح من أن تنالَه يدٌ بسوء.

5 – اليهود يحاولون تشويه صورة الأنبياء في أعين الناس.

المراجع

القرآن الكريم

١ - ابن أبي شيبة (عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ١٥٩ - ٢٣٥ هـ.)، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط١، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ.

٢ - ابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت. ٧٧٤هـ.)، تفسير القرآن العظيم، مكتبة المنار، ط١، الزرقاء - الأردن، ١٤١٠هـ./ ١٩٩٠م.

٣ - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر - دار بيروت، بيروت - لبنان، ١٣٨٨هـ./ ١٩٦٨م.

٤ - أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي، إرشاد السالك إلى أحكام المناسك، ل.د، ط٣، دولة قطر، ١٤٠٠هـ.

٥ - أحمد بن حنبل (أبو عبد الله الشيباني ١٦٤ - ٢٤١ هـ.)، مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة - مصر، ل. ت.

٦ - أحمد بهجت، أنبياء الله ، دار الشروق، ط ٢١، القاهرة - مصر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٧ - الآلوسي (شهاب الدين السيد محمد الآلوسي ت. ١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصحّحه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٨ - الأمين الحاج محمد أحمد، الخضر عليه السلام مكتبة دار المطبوعات الحديثة، ط١، جدة - المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٩ - البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ١٩٤ - ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط٣، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٠ - الترمذي، (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ٢٠٩ - ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ل. ت.

١١ - الجزائري (السيد نعمة الله)، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، دار الأندلس، ط١، بيروت - لبنان، ل. ت.

١٢ - دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، الشارقة - دولة الإمارات العربية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٣ - الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن ١٨١ - ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٤ - الدينوري (أبو حنيفة بن داود الدينوري ت. ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، مراجعة وتصحيح الدكتور حسن الزين، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.

١٥ - الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت. ٢٧٦هـ)، المعارف، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٦ - الرازي، (محمد الرازي فخر الدين) ، من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود (محمد بن محمد العمادي)، طبع بالمطبعة الحسينية المصرية، القاهرة - مصر، ١٣٢٤هـ.

١٧ - د. رشدي البدراوي، قصص الأنبياء والتاريخ، ل. د، القاهرة - مصر، ١٩٦٦م.

١٨ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط ١٠، بيروت - لبنان/ القاهرة - مصر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٩ - الطبراني (سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ - ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، المحقق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة - مصر، ١٤١٥هـ.

٢٠ - الطبري (محمد بن جرير ٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب (٣٠)، دار المعارف، ط٥، القاهرة، - مصر، ل.ت.

٢١ - الطبري (محمد بن جرير)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ل. د، الرياض - السعودية، ل. ت.

٢٢ - عباس محمود العقاد، أبو الأنبياء الخليل إبراهيم، مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة - مصر، ل.ت.

٢٣ - عبد الأكرم السقاط الداراني، مؤمن آل فرعون، سلسلة أبحاث موضوعية (٣)، دار السقا، دمشق - سورية، ل.ت.

٢٤ - عبد الرحمٰن يوسف العبد، إرم ذات العماد، دار البشير، القاهرة، مصر، ل. ت.

٢٥ - عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٦ - العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٢٧ - عفيف عبد الفتاح طبارة، روح القرآن الكريم (تفسير سورة مريم، الكهف، طه)، دار العلم للملايين، ط١، بيروت - لبنان، ١٩٩٧م.

٢٨ - علي فكري، أحسن القصص، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت - لبنان، ١٩٤٩م.

٢٩ - د. فاروق حمادة، الورثة الصالحة للحضارة المعاصرة، دار الثقافة، ط٢، الدار البيضاء - المغرب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٠ - القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري)، مختصر تفسير القرطبي، اختصار ودراسة وتعليق الشيخ محمد كريم راجح، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣١ - محمد أحمد جاد المولى، قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ل. ت.

٣٢ - محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (٥٦٧ - ٦٤٣ هـ)، الأحاديث المختارة، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، ط١، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ.

٣٣ - د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار النهضة العربية، ط٢، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٤ - د. محمد سيد طنطاوي، القصة في القرآن الكريم، قصة آدم ونوح عليهما السلام، إقرأ سلسلة ثقافة شهرية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ل. ت.

٣٥ - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مكتبة جدة، جدة - المملكة العربية السعودية، ل. ت.

٣٦ - محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، مكتبة الغزالي ، دمشق - سورية/ مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٧ - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الأندلس ، بيروت - لبنان، ل. ت.

٣٨ - د. محمد محمود سعيد، الإسلام في صحف الأولين وكتب المرسلين، الناشر دار الغد العربي، القاهرة - مصر، ١٩٩٩م.

٣٩ - د. محمود عكام، الموسوعة العلمية الميسرة، دار صحارى، دمشق - سورية، ل. ت.

٤٠ - مراد محمد محمود الدش، عبور موسى من بحيرة قارون (وتحتمس الثالث فرعون الخروج)، القاهرة - مصر ، ١٩٩٩م.

٤١ - مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ - ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ل.ت.

٤٢ - المناجاة الكبرى (لسيدنا موسى عليه السلام في الأحكام والوصايا والمواعظ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

٤٣ - الموسوعة العربية، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، ط١، دمشق - سورية، ١٩٩٨م.

٤٤ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٤٥ - نبيل خالد الآغا، أنبياء الله في فلسطين، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان،/ دار الفارس، عمان - الأردن، ٢٠٠١م.

٤٦ - النسائي (أحمد بن شعيب النسائي ٢١٥ - ٣٠٣هـ)، سنن النسائي(المجتبى)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، حلب - سورية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٧ - النسفي (عبد الله بن أحمد بن محمود ت. ٧١٠)، تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٨ - د. نواف الحليسي، المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام (التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم)، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف، ط٢، القاهرة ، مصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤٩ - النيسابوري (أحمد بن محمد بن إبراهيم ت. ٤٢٧هـ)، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ل. ت.

٥٠ - د. وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز على هامش القرآن الكريم، ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل، دار الفكر، ط٢، دمشق - سوريا، ١٤١٦هـ.